المحاضرة رقم 6

التواصل الأوركسترالي

د . جودي

مدرسة بالو ألتو

- ظهرت في أربعينيات القرن العشرين مدرسة بالو ألتو المكونة من جماعة من الباحثين الأمريكيين المتعددي المشارب، وقد اتخذت هذه المدرسة منحى معاكس للنظرية الرياضية لشانون، حيث قامت بالتخلي عن النموذج الخطى للاتصال وتبنت النموذج الدائري الارتدادي الذي اقترحه وينر، حيث تتصور هذه المدرسة أن البحث في حقل الاتصال يجب أن يتم بالنظر إلى مستوى التعقد والسياقات المتعددة والأنظمة الدائرية، إن دور المتلقي في هذه الرؤية التواصلية الدائرية يماثل في الأهمية دور المرسل،
- حاول باحثو بالو ألتو وبالاعتماد على المقاربة النسقية تشخيص وتبيان وضعية تفاعلية شاملة، وليس دراسة بعض المتغيرات فحسب بمعزل عن المتغيرات الأخرى، فماهية الاتصال حسب هذه المؤسسة تكمن في سيرورة علائقية وتفاعلية فكل سلوك بشري يملك قيمة اتصالية (العلاقات التي تتوزع وتتداخل بطريقة تبادلية يمكن دراستها باعتبارها نظاما واسعا للاتصال) ذلك أن ملاحظة تتابع الرسائل المتوقعة ضمن السياق الأفقي (تعاقب الرسائل المتتالية) والسياق العمودي (العلاقة بين الأجزاء والنسق)، تمكننا من استنباط منطق الاتصال أخيرا،
- الاضطرابات النفسية تحيل على اختلالات في الاتصال بين الفرد الحامل لهذه الأعراض وبين محيطه

التصور الأوركسترالي:

شرح **Ray Birdwhistell** **النموذج الأوركسترالي** "على أن جميع الأفراد الذين يتشاركون في أي فضاء مشترك ضمن الأبعاد الاجتماعية والنفسية هم "رجال أوركسترا" لأننا جميعا حسب قوله "نعزف" عدة آلات في وقت واحد ونلعب بالكلمات والإيماءات في المساحة التي تبنيها، الوقت، الصمت، الملابس، التي نرتديها والتي تمثل ناقلات اتصال مهمة.

فسر **Winkin** مقولة Birdwhostill أن قنوات الاتصال المختلفة هذه تعمل بشكل متزامن بالتنسيق بين النظرات والإيماءات التكاملية لجعل الاتصال أكثر كفاءة.

ويقول " **أنا منغمس في البحث عن صياغة أفكاري أخفض بصري لا أنظر أكثر إلى محاوري لكن موجة من اليد تسيطر، وتحافظ على العلاقة مع الجمهور"**

مرحبا بكم في ENSJSI

يؤسسGregory Bateson مفهومه للجوقة حين قال

"أن تتصل يعني أن تدخل في جوقة communique c'est entrer dans l'orchestre "

ويقترح قبل بث رسالة ما ضرورة التساؤل لمن وبأي الآلة ومنه فالدخول في الجوقة يستوجب موافقة الفرد على اللعب على السلم الموسيقي واختيار الآلة المناسبة واحترام الوقت والايقاع واستماع الأخر والتحدث معه وهو ما يتطلب التمرين والمهارات واحترام القواعد.

- **جريجوري باتسون** ولد في جرانتشيستر بالمملكة المتحدة في 9 مايو 1904. كان عالمًا أنثروبولوجيا واجتماعي لغوي ومختصص في علم التحكم الآلي، وكان لعمله تداعيات في العديد من المجالات الفكرية الأخرى. تنعكس بعض أهم كتاباته في كتبه تجاه بيئة العقل (1972)، عقل والطبيعة وحدة ضرورية (1979) وحيث يتردد الملائكة. نحو نظرية المعرفة المقدسة (1987).

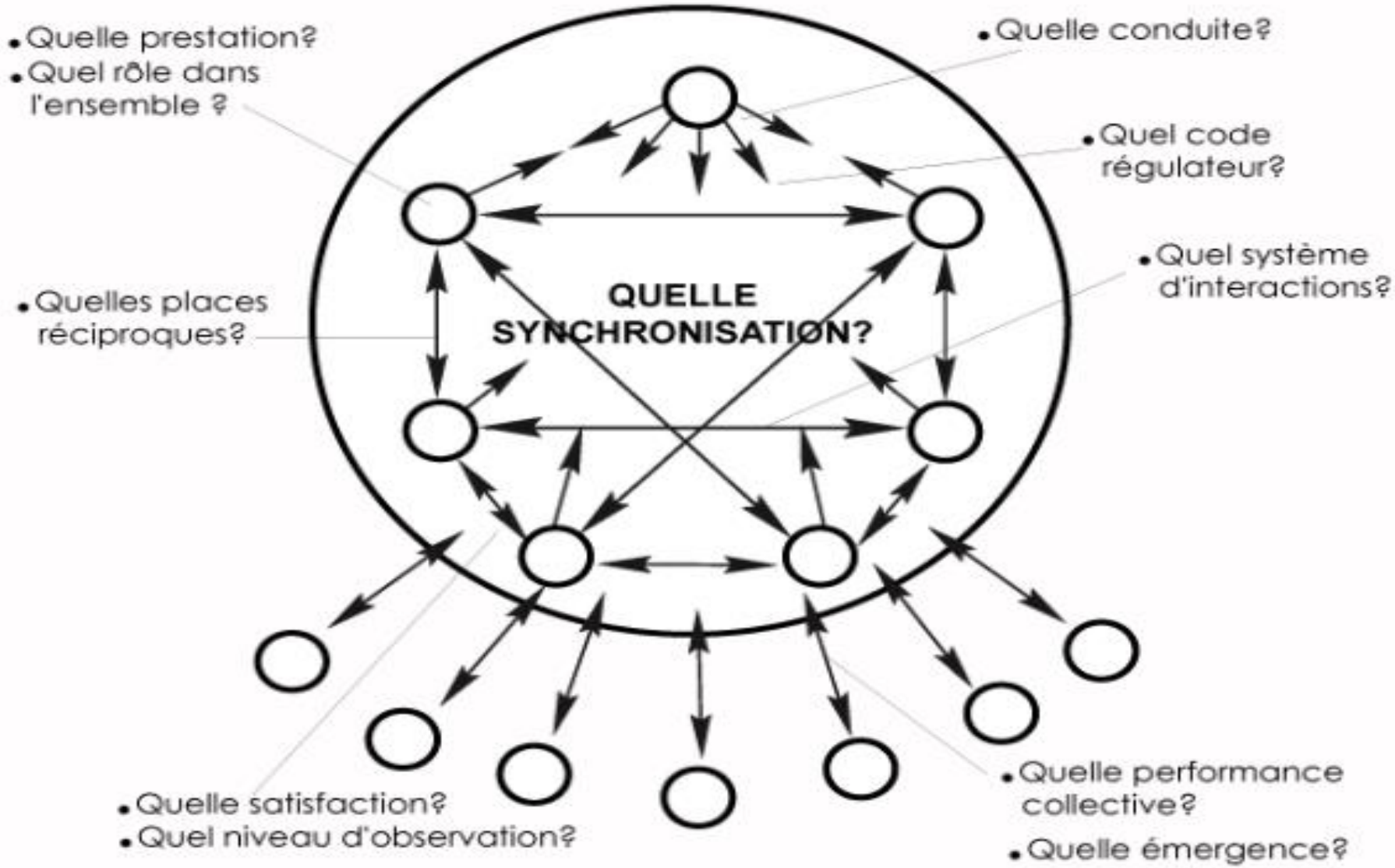

Modèle de l'orchestre.

- ينظر **باتسيون وبرودسيتل** إلى التواصل على أنه نشاط اجتماعي يدمج التواصل بين الأفراد، في مجموعة من الرموز الضمنية لفظية وغير لفظية في كثير من الأحيان مستندة على القواعد الاجتماعية التي تشكل ثقافة مشتركة ينتقل مبدأها من جيل إلى جيل.

- يؤدي التصميم الأوركسترالي إلى العديد من الملاحظات، والتي تؤثر بشكل كبير على تحليل عمليات الاتصال، والتي لها صلة خاصة بدراسة الاتصال في البيئات متعددة الثقافات كون الاتصال جزء لا يتجزأ من النظام الثقافي السائد في البيئة، فمن المستحيل الهروب منه ومن المستحيل عدم التواصل، إذ يعتبر الصمت في حدّ ذاته تواصلا، نتيجة لذلك فلا يمكننا الحكم على أن التواصل جيد أو لا ولكن يمكن دراسته إلاّ كعنصر من عناصر الأداء الاجتماعي لمجموعة أو مجتمع.

الأبعاد السبعة للتواصل الأوركسترالي:

1. حينما نتصور التواصل كنشاط اجتماعي توضع آلية من رتبة عليا فوق الاتصال البيفردي، وكل فعل لبث رسالة يدمج في مصفوفة أكثر اتساعا تشبه الثقافة في اتساعها، وهذه المصفوفة هي التي تحظى باسم التواصل الاجتماعي وتشكل مجموع الشفرات والقواعد التي تجعل التفاعلات والعلاقات بين أفراد الثقافة ذاتها ممكنة وتصون انتظام قابلية التنبؤ، وهكذا يكون التواصل الاجتماعي دائما لا يعتمد على العمل الفردي بل يضمن الفرد إدماج فعله في استمرارية، فالفرد يعتبر فاعلا اجتماعيا وكأنه مشارك في كيان يستوعبه ويصنفه.

2. تحقق المشاركة في التواصل بكيفيات متعددة شفهية أو غير شفهية، يمكن من يساهم من الفاعلين المنخرطين في نظام التواصل إنتاج وحدات معلومات خاصة جدا، لكنها تبقي أنشطة نادرة جدا، تكون الأنشطة التواصلية في أغلب الأوقات أنشطة مراقبة وأنشطة تأكيد وأنشطة إدماج حيث يلعب التكرار دورا كبيرا وهكذا يحاول الباحث في التواصل الاجتماعي أن يحدد المضمون أكثر من السياق وأن يحدد المعلومة أكثر من الدلالة.

الأبعاد السبعة للتواصل الأوركسترالي:

3. لا تحدد القصدية في التواصل: حينما يتكلم شخصان بلغة معينة، فإنهما يشاركان في نسق لغوي قبلهما سيبقي بعدهما، حينما يتبادلان الكتابة فإنهما يستعملان شفرة تمكن الآخرين من قراءة رسائلهما.

4. يعتبر التواصل بناء نظريا يسمح بدراسة متعددة التخصصات لديناميكية الاجتماعية.

5. إن التواصل نظام تفاعل واسع بين الأجيال والتفاعلات في الحياة اليومية ليست سوى تفعيل وكل فاعل اجتماعي تمكن تدريجيا من تعلم بعض الشفرات وبرامج مجموعته وشريحته ومجتمعه.

6. يعتبر البحث بالضرورة جزءا من النظام الذي يدرسه، سواء عمل أم لا على ثقافته الخاصة، وحتى عندما يدخل ثقافة غير معروفة مثل قادم من المريخ، فإن الباحث لا يمكنه إلا أن يفهم ولو على المدى القصير مظهرا من مظاهر سلوك محاوريه.

7. يفهم بناء التواصل الاجتماعي عبر صورة الأوركسترا إذ يساهم أعضاء ثقافة معينة في التواصل مثلما يساهم الموسيقيون في الأوركسترا، لكن أوركسترا التواصل ليس لها قائد ولا يمتلك الموسيقيون نوتة، إنهم يعيشون تناغما إلى حدّ ما لأن بعضهم يسترشد البعض الأخر بالتناوب أثناء العزف، إن النغمة الموسيقية التي يعزفون هي بمثابة مجموعة تعالقات مهيكلة، إذ قام باحث بتفكيك هذه النغمة أو نسخ رموز النوتة سيري بلا شك أن النوتة التي حصل عليها أمر معقد جدا، وأن الأمر فعلا يتعلق بموسيقي وليس بمجرد ضجيج بسيط.

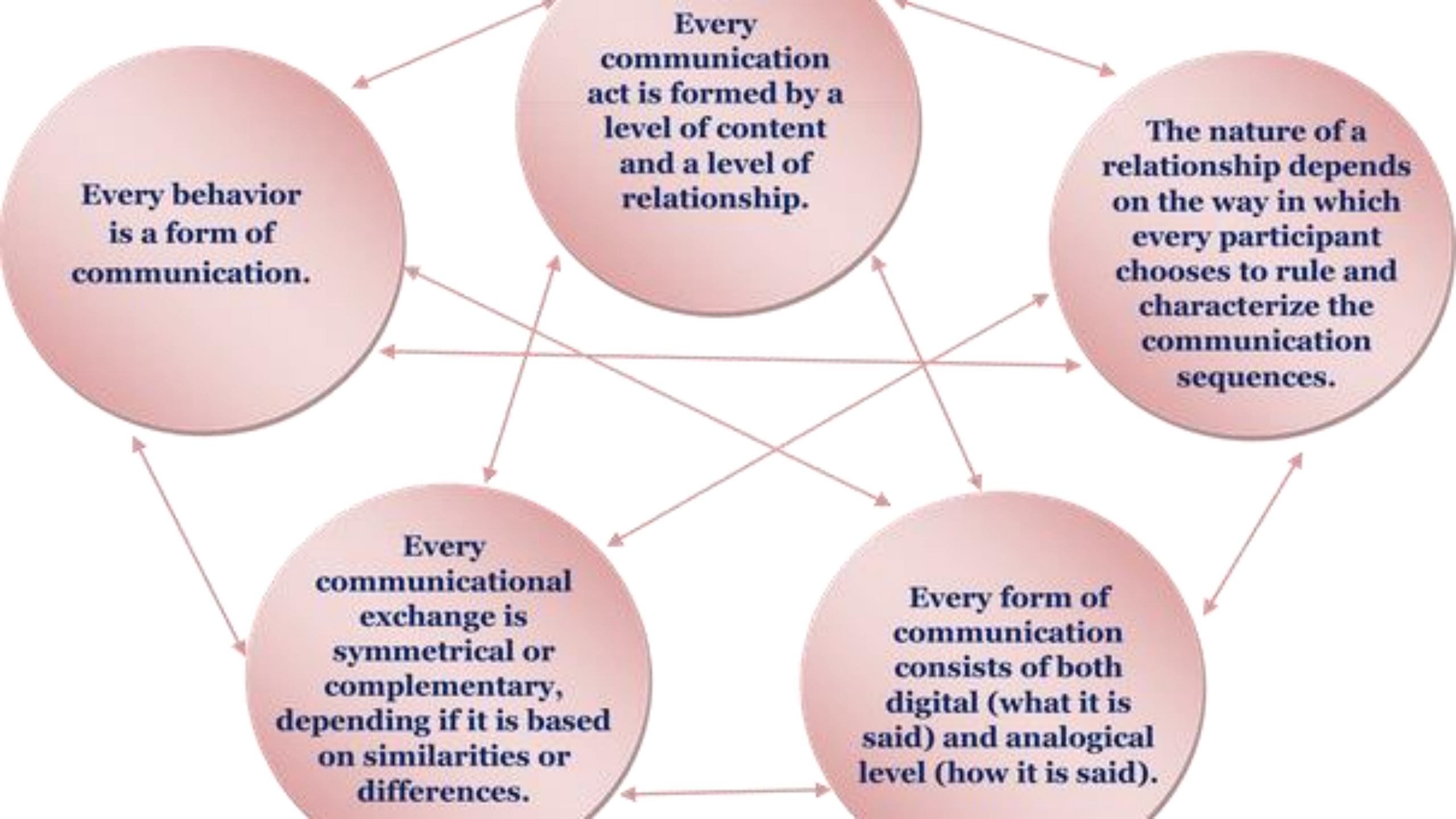
Every communication act is formed by a level of content and a level of relationship.
Every behavior is a form of communication.
The nature of a relationship depends on the way in which every participant chooses to rule and characterize the communication sequences.
Every communicational exchange is symmetrical or complementary, depending if it is based on similarities or differences.
Every form of communication consists of both digital (what it is said) and analogical level (how it is said).

- **Paul Watzlawick** - one of the most important representatives of the "Invisible College" - considers the existence of a number of issues that are always present in communicative acts and that reflect factual circumstances of human communication.
- Watzlawick calls them **Axioms** because of their capacity of unfailing compliance and in his theorizing about human communication he lists **five** (**See Chart**):

1) One cannot not communicate. It is impossible not to communicate.

2) Every communication has a content and relationship aspect such that the latter classifies the former and is therefore a metacommunication. Besides the meaning of words, every communicative act provides information about how the person talking wants to be understood and about how the receiver is going to understand the message; for instance when someone says: *Take care*. The **content level** in this case could be to prevent something bad from happening and the **relationship level** would be friendship-paternalistic.

3) The nature of a relationship is dependent on the punctuation of the partners communication procedures. Communication can be understood as an uninterrupted series of message exchange, however the participants in this process always introduce what is called by human communication theoreticians as "punctuation of sequence of events" which implies the structuring of the communication flow in which both sender and receiver interpret their own behavior as a reaction or response to the other's behavior. For example, in any given exchange or interaction, someone will have the initiative or the dominance or the dependence, etc. A person with a certain behavior will be considered a leader, while other person will be considered an adept; the emergence of both will be given by the relational framework.

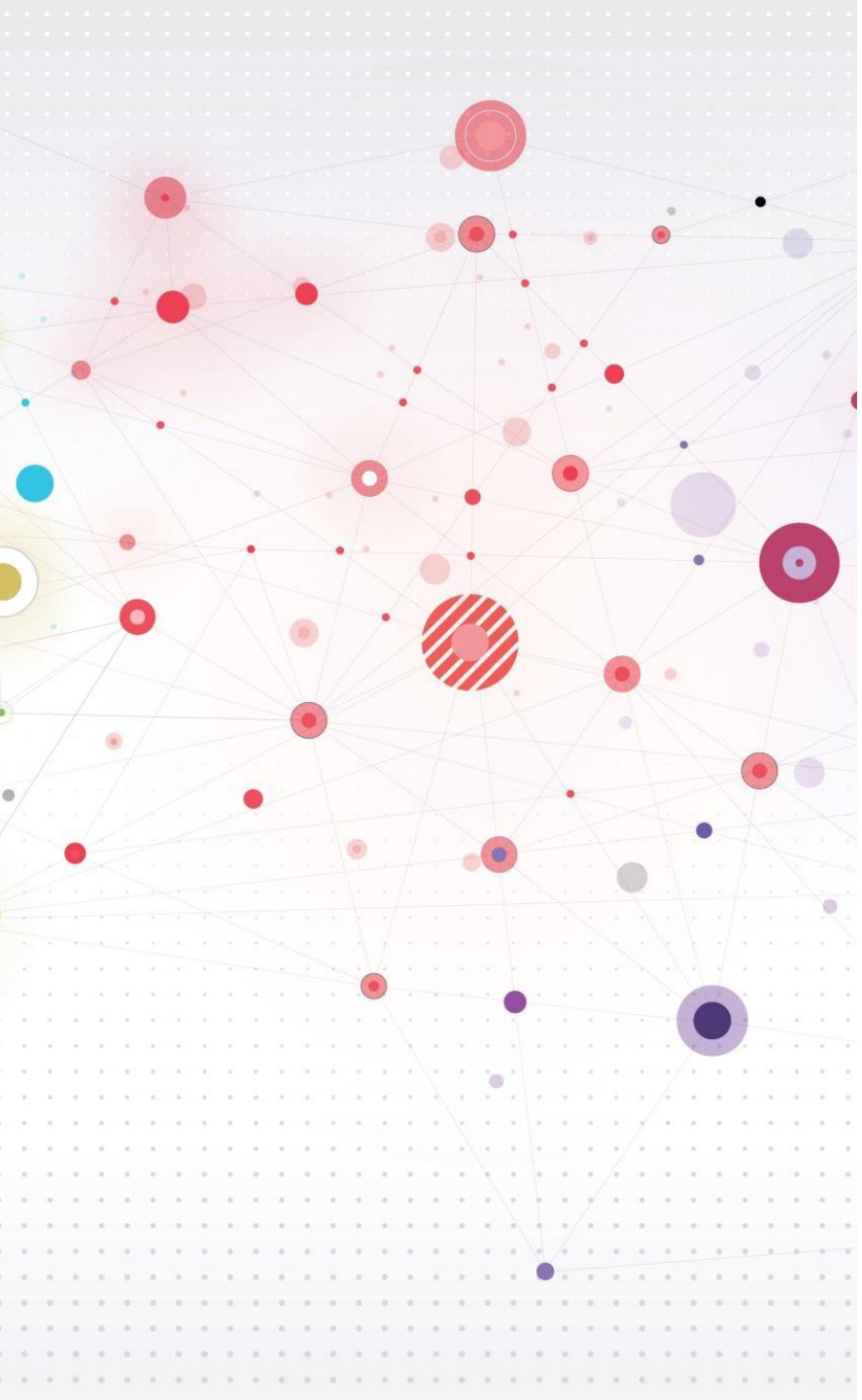

- **4) Human communication involves both digital (what is said) and analog (how it is said) modalities.** Communication involves the transmission of content (digital level), but it is also important the way in which that content is transmitted (analog level).
- **5) Inter-human communication procedures are either symmetric or complementary, whether they are based on equality or difference.** If the ratio of the communicating people tends to equalize their mutual conduct, we will talk about a **symmetrical relationship** which is represented by people in equal conditions: brothers, friends, etc. But, if the relationship is based on the complementarity of one and a reciprocal link produced by another, it is a **complementary relationship** in which there exists the presence of some kind of authority: parents and children, teachers and students, etc.

المحاضرة رقم 7

التواصل الحركي

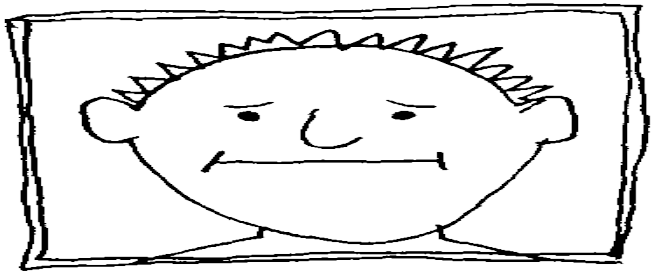

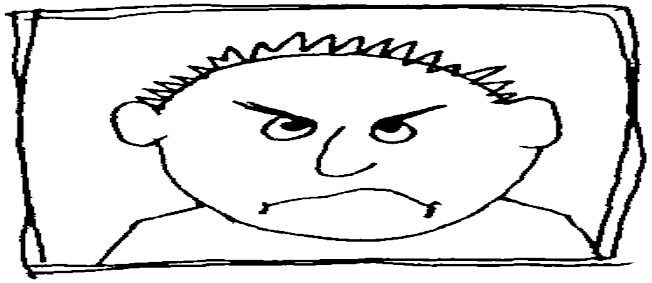

- يمثل التواصل عند **برودستيل** جزءا من عدة مفاهيمية متكونة من: **السياق والتشفير والبنية والسيرورة** قابلة للمبادلة كليا،

حيث يضفي **بيردوستيل** تصوره للتواصل امتدادا يصبغه الأنثروبولوجيون بشكل تقليدي على مفهوم الثقافة "من وجهة النظر المقدمة هنا يمكن اعتبار التواصل بمعنى أوسع، **الجانب الفعال من البنية الثقافية**"

ويسعى برودوستيل إلى توضيح أن **الثقافة والتواصل كلمتان تمثلان** وجهتي نظر أو منهجين في تمثيل التعالق الإنساني Interconnexionectrdness المنظم والمهيكل.

في كلمة **الثقافة** يتم تأكيد **البنية** أما في **التواصل** فيكون التأكيد على **العملية**، إلا أن مثل هذه الصيغة الجديدة يمكن أن تؤدي إلى خطأ من جديد، إذ يمكن أن يفهم منها ضمنيا أن العملية تكون بلا بنية، وأن البنية ساكنة ربما بشكل صريح... يظهر هذا الاقتباس الطويل تردد **بيرودوستيل** في إقامة علاقة بسيطة بين الثقافة والتواصل من نوع:

تواصل/ مسار= ثقافة /بنية،

يتعلق الأمر بالنسبة إليه بتمييز جوهري أقل منه بتمييز مفهومي ومنهجي يعني محل الملاحظة، ولكن التقابل بين الملاحظة من فوق والملاحظة من تحت لا توضح المسألة بتاتا، وفي أحيان أخرى ينظر إليه كعملية دائمة

- ترتكز رؤية برودستيل على **أعمال سابير** التي هيأت للاتجاه الأنثروبولوجي "الثقافة والشخصية" التي ينتمي إليها بيرودوستيل معرفيا من دون الأخذ في الاعتبار توجهه للتحليل النفسي، إن التواصل عند سابير مكون من أفعال فردية، لكنه يأخذ بعدا اجتماعيا حين يتصور المجتمع باعتباره نسيجا واسعا من التواصل الذي يعيد الاعتبار لوجود المجتمع، ويؤكد سابير كثيرا على الجوانب الإجرائية والدينامية للتواصل وهو ما انعكس على تردد برودوستيل في الاختيار بين المسار والنظام.

- في مقال "**اللغة الموازية: 25 سنة بعد سابير**" يشير برودوستيل إلى دين عليه اتجاه مقالات كـ"الكلام كمكون للشخصية" و"تأثير أنماط اللاوعي على السلوك الاجتماعي"، يحاول سابير في هذا المقال الأخير التعبير عن هذه الجملة الشهيرة عن الحركات التي نتفاعل معها "تبعا لشفرة سرية ومركبة ليست مكتوبة في أي مكان، ويعرفها الكل وسمعناها جميعا"، كل العمل الذي قام بيه بيرودستيل حول الحركية والذي يعرفه كدراسة الجوانب التواصلية لحركات الجسم المتعلمة والمهيكلة":

Communicating non-verbally by body movement

"I really want that job, Mrs. Brown."

Same words. Different messages.

- كان مشروع الحركية جزءا من عمل كبير جدا يتوخى منه محاولة وصف مجموعة أنماط التواصل غير اللفظية انطلاقا من نقل دور الثقافة في اللغة إلى مجموع السلوك الاجتماعي، إنها نظرة أخرى ذات بعد سايبري بامتياز، وإذا كانت الثقافة لا تتمكن من الحفاظ إلا على عشرات الأصوات من بين آلاف التي يمكن للجهاز الصوتي انتاجها، فسيكون من الممكن تصور أن الثقافة تحتفظ بعشرات الحركات من بين الآلاف التي ينجزها الجسد.

- تشكل هذه الحركات البدائية نظاما تواصليا داخل هرمية يمكن أن تكون مشابهة لهرمية اللغة، وانطلاقا من هذه الفرضية يجدر بنا دراسة الثقافة برمتها من ميدان لأخر باعتبارها نظاما أوسع للتواصل، هنا يمكن استحضار المسلمة الأولى للبنيوية كما يقول عالم اللسانيات جورج تراغر George Trager "إذا أمكن تحليل اللغة بنيويا، وإذا كانت بقية الثقافة في جزءها الأكبر مشروطة باللغة، وجب بالتالي تحليل كل الثقافة بطريقة بنيوية".

- فقد تمكن **برودوستيل** ضمن فريق **جورج تراغير** تحديدا من كتابه: مدخل إلى الحركية Introduction to Kinesics، كما بلور الباحث الانثروبولوجي إدوارد هول Edward Hall نمطا صوريا للثقافة يرتكز على تناظر لساني وموسيقي في الوقت ذاته.

- يؤكد هول أن كلا من الصوت والمفردة والمقطع التركيبي يصبح نوتة موسيقية وبالمماثلة مع التقاسيم الموسيقية، سلاسل ومخططات وضعت هذه الشبكة لتطبق على الثقافة التي يفترض أن تقرأ عندئذ كمقطوعة موسيقية، في هذا الصدد يقول هول "**إن الثقافة تواصل**".

- يتشكل المستوى الثاني لتصور برودوستيل عن **التواصل باعتباره عملية دائمة متعددة القنوات**"، تستعمل كل الأساليب الحسية: الرؤية، السمع، الشم، اللمس... إلخ، ولا يمكن عزل عنصر عن نظام البنية التحتية كاللغة، بغرض دراسة التواصل **البيشخصي**.

المحاضرة رقم 8

نموذج *Speaking*
Dell Hymes

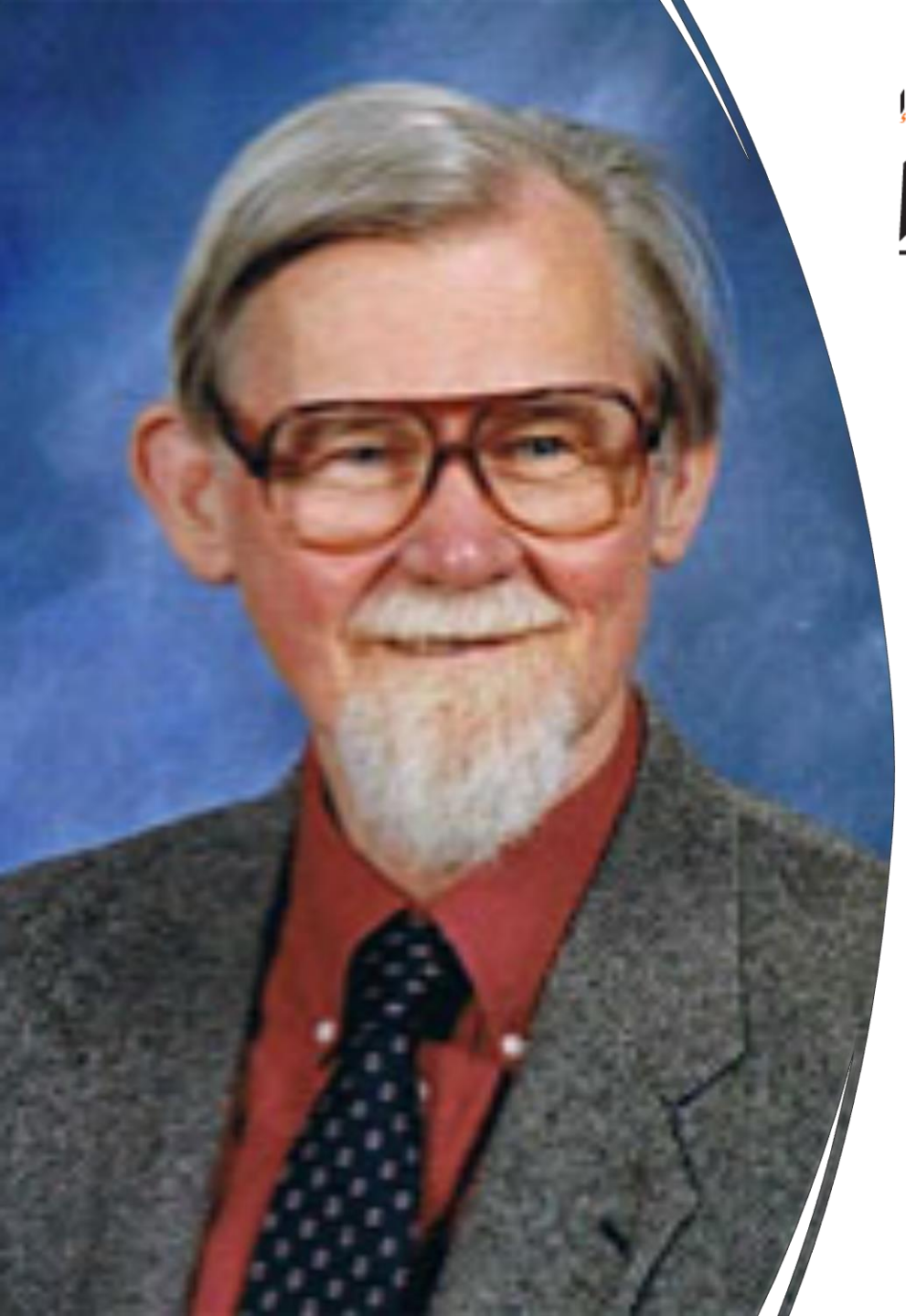

ديل هايمز

- ديل هايمز عالم لغوي وأنثربولوجي وعالم اجتماع (1927– 2009) ولد في بورتلاند التحق بكلية ريد، حيث درس الأنثروبولوجيا وثقافات شمال غرب الهند تخرج عام 1950، وقام بعمل دراسات عليا في جامعة إنديانا، حيث حصل على الدكتوراه في اللغويات بأطروحة عن لغة كاثلاميت شينوكان. بين عامي 1955 و1987، كان هايمز عضوًا في كليات جامعة هارفارد، وجامعة كاليفورنيا–بيركلي، وجامعة بنسلفانيا، حيث قام بالتدريس في أقسام الأنثروبولوجيا والفولكلور والحياة الشعبية، شغل منصب عميد كلية الدراسات العليا في التربية. بين عام 1975 إلى عام 1987، كانت اهتمامات هايمز الفكرية والثقافية واسعة النطاق، وتأثر عمله بشخصيات مثل إريك أورباخ، وإرنست كاسيرر، وكلود ليفي شتراوس، وكينيث بيرك، وآل كروبر، بالإضافة إلى مجموعة متنوعة من الشعراء والكتاب المعاصرين. ليس من المستغرب إذن أن يكون الكثير من أعماله انتقائيًا ومتعدد التخصصات، وأنه ساهم في إنشاء مجالات أكاديمية جديدة جمعت بين الأنثروبولوجيا والإثنوغرافيا واللسانيات والنظرية الأدبية. تولى رئاسة جمعية الفولكلور الأمريكية (1973)، والجمعية اللغوية الأمريكية (1982)، وجمعية الفولكلور الأمريكية (1982). الجمعية الأنثروبولوجية الأمريكية (1983)، والجمعية الأمريكية لعلم اللغة التطبيقي (1986–1987) – الباحث الوحيد الذي شغل جميع المناصب الأربعة. استمر تأثير أعماله وأفكاره في مجالات اللغويات والأنثروبولوجيا والإثنوغرافيا والحياة الشعبية، سواء في الولايات المتحدة أو على المستوى الدولي، منذ وفاته في عام 2009، وخاصة في دراسة الآداب الأمريكية الأصلية التقليدية. ينظر: https://www.oregonencyclopedia.org/articles/hymes_dell_hathaway/

- كان ميلاد أنثروبولوجيا لاتصال كتخصص علمي أكاديمي سنة 1962 في الولايات المتحدة الأمريكية بعد نشر مقال * Dell Hymes الموسوم بـ "إثنوغرافيا الكلام" ثم أصبح يعرف بـ "إثنوغرافيا الإتصال" سنة 1964. حيث اقترح الأنثروبولوجي وعالم اللسانيات Dell Hymes برنامجا واسعا من الأبحاث حول العلاقات بين اللغة والمجتمع وأطلق عليه هذا البرنامج اسم إثنوغرافيا الاتصال، وكان هدفه دفع علماء الأنثروبولوجيا نحو اعتبار اللغة والأشكال الأخر للاتصال الشخصي كظاهرة ثقافية أساسية.

- في سنة 1966 وبجامعة بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية، تأسست مجموعة عمل بقيادة هايمز للقيام بدراسة مقارنة حول "دور الكلام في مجتمعات مختلفة" وكان هدف المجموعة طموحا جدا يتمثل في جمع كل المعطيات الإثنوغرافية الخاصة بالسلوكيات اللفظية بغية صياغة جدول أولي مقارن، يعط للتخصص الجديد اتجاهاته البحثية، وكانت نتيجة هذا العمل وثيقة تم نشرها في مجلة Texas Working Papers.

- وفي عام 1967 استعمل Dell Hymes لأول مرة عبارة أنثروبولوجيا الاتصال ضمن المشروع الذي اقترحه في دراسة إثنوغرافية للسلوكيات والظروف والمواضيع المدركة داخل فئة معينة، وكأن لها قيمة تواصلية حيث قال:

- **"يجب أن يتوقف مدى التواصل في الأنثروبولوجيا على مدى التواصل في الثقافات أو الفئات التي تعتمد دراستها الإثنوغرافية على الأحداث والنظريات الأنثروبولوجية يكون السلوك والتفاعل باعتبارهما منتجات لسلوك منظم في كل ثقافة أو فئة بطريقة انتقائية، ويستعمل ويرجع إليه وتؤول من حيث قيمه التواصلية"**

- يستحضر **هايمز** فيما يخص التواصل المبدأ الأول لكل عمل إثنوغرافي: استخراج الرأي المحلي والأهلي والذاتي لكنه يستعير كذلك تعريف الثقافة الذي قدمه صديقه **وارد عودناف** سنة 1957 حيث قال:

- "**تتمثل ثقافة المجتمع قبل كل شيء تجب معرفته أو الإيمان به من أفراد المجتمع، للتصرف بشكل مقبول بالنسبة إلى كل دور يقبلون به لكل فرد منهم.**

- قدم sherzer Joel أسسا أخرى كانت في مضمونها انتقادات وجهها لهايمز وشكلت أفاقا لمحتوى الدراسات الأنثروبولوجية للانتقال بأنثروبولوجيا الاتصال إلى رحلة جديدة، حيث أكد أن هذه الدراسات من الضروري أن يتم الالتزام فيها بوصف ما يأتي:

  - السبل والوسائل الاتصالية للجماعات والمجتمعات.
  - استعمال هذه السبل والوسائل.
  - العلاقات المتبادلة بين هذه السبل والوسائل وأنواع الخطابات وأنواع التفاعل الاجتماعي.
  - العلاقة بين صيغ وطرق الاتصال وباقي المجالات الثقافية والتنظيم الاجتماعي، والسياسي والاقتصادي والديني.

ENSJSI

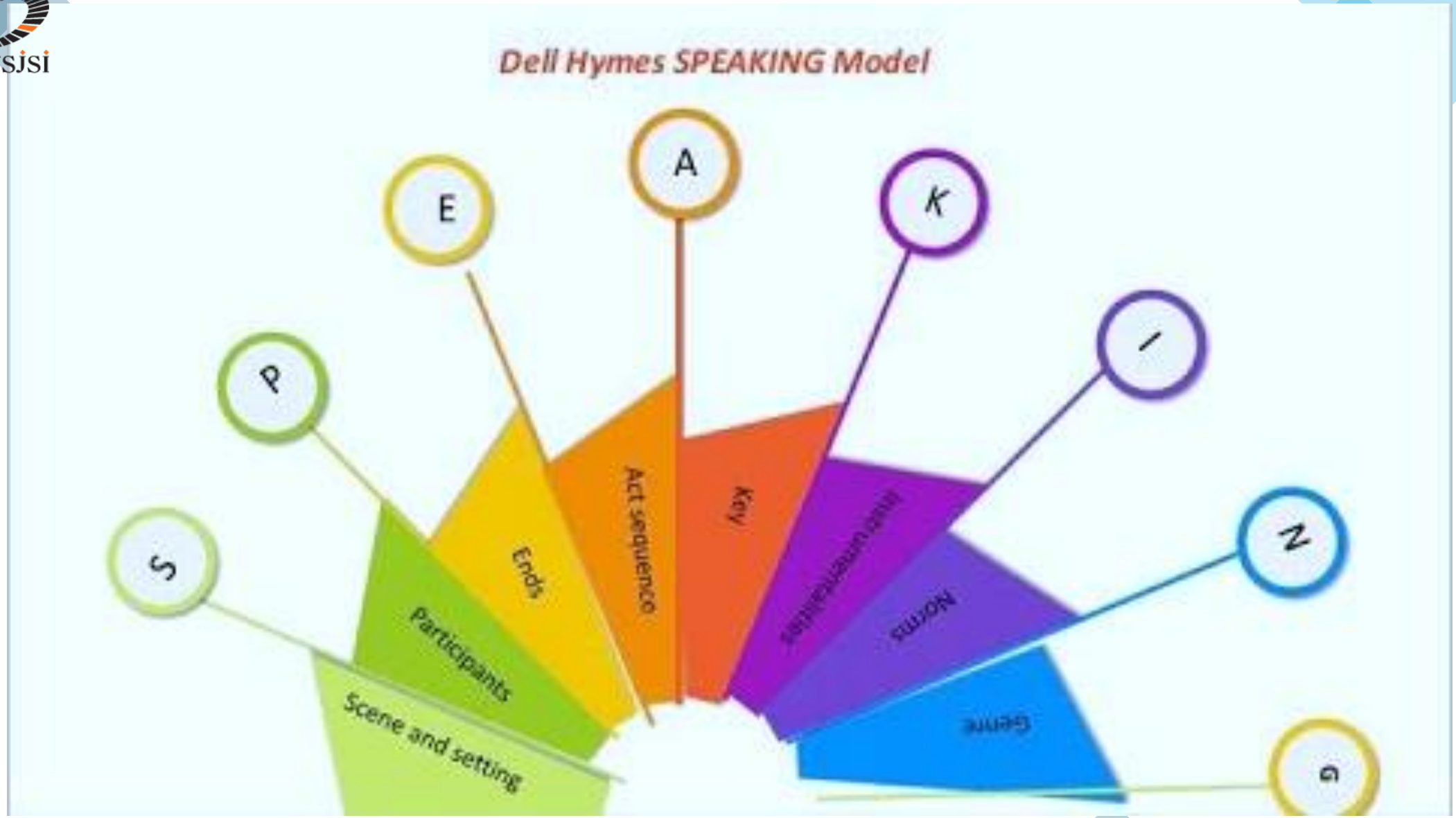
Dell Hymes SPEAKING Model
S
P
E
A
K
I
N
G
Scene and setting
Participants
Ends
Act sequence
Key
Instrumentalities
Norms
Genre

Speaking

- يشكل هذا النموذج ميلادا مهيكلا لأنثروبولوجيا الاتصال بعيدا عن علم اللسانيات وعلم اللغة اللذين كانا نقطة انطلاق هايمز قبل تأسيسه هذا العلم الجديد، فقد كان منتهي هذا النموذج ما أكده هايمز أنه:

- **"من واجب الإثنوغرافيا وليس اللسانيات، وواجب الاتصال وليس اللغة توفير الإطار المرجعي الذي فيه يمكن تحديد مكانة اللغة في الثقافة وفي المجتمع".**

- وقد اقترح ديل هايمز نموذج Speaking والذي حدد له كهدف، تزويد الباحثين بإطار وصفي ومنهجي الذي يأخذ بعين الاعتبار التغير والتقلب الثقافي لأنساق الاتصال، والذي يسمح بمقارنة دور الكلام في مجتمعات مختلفة، يحتوى النموذج على ثمانية مكونات حددها على النحو التالي:

Setting السياق

Participants المشاركون

Ends الغايات

Acts الأفعال أو المنتوج

Keys النبرة

Instrumentalities الوسائل والأدوات

Norms المعايير

Genres الأنواع

- وقد قام هايمز بتحليل مستفيض عن الصيرورة التي يتمكن منها الفرد أن يصبح عضوا في مجموعة الخطاب أو الكلام **Speech Community**، هذا يتم كما أكد من تعلم الطفل لقواعد اللغة ولما أسماه بالكفاءة التعبيرية والاتصالية، حيث أكد " أن الطفل يتعلم الجمل ليس بشكل نحوي فقط ولكن يكتسب كفاءة تمكنه من أن يعرف متى يتكلم، ومتى لا يجب أن يتكلم، وكذلك ما يجب أن يقول، ومع من، وفي أي وقت، وبأي شكل، **فالكفاءة الاتصالية يقصد بها مجموع المعارف التي يجب أن يتعلمها الفرد من أجل أن يكتسب اللغة واستعمالاتها، كل فرد يصبح عضو بشكل كامل فيما سماه بـ "جماعة الخطاب والكلام"**.

- فالكفاءة الاتصالية **Compétence Communicative** تم حسب مؤسسها عن طريق البحث في مصادر الثروات الرمزية التي تتمكن من خلالها الجماعة الاجتماعية من إنشاء وإيجاد وسائل اتصال خاصة بها.*

المحاضرة رقم 9

مدخل التفاعل الدرامي لـ: إيرفنغ غوفمان

- يلخص غوفمان اهتمامه بالاتصال وجها لوجه فيما قاله في محاضرته عن "**نظام التفاعل**" فهو يرى أن نظام التفاعل ما هو إلا دارسة وتحليل مجال الاتصال وجها لوجه، وهو ما يؤكده تعريفه للنظام الاجتماعي بأنه "ليس دراسة جماعة ما، هذه السلوكيات تدل على **استحالة أن لا نتصل** كما يقولو منظرو بالو ألتو الأمريكية"،

- ويضيف غوفمان في دراسة أخرى "**عندما يجتمع أفراد في وضعيات ما تفرض أن لا يتم تبادل الكلمات وفعل الكلام، فإنهم سواء أرادوا أو لم يريدوا يدخلون في شكل من أشكال الاتصال... فحتى وإن توقف الشخص عن الكلام فإنه لا يمكنه أن يمتنع عن الاتصال بلغة الجسم**".

- فالتواصل عند غوفمان حاضر بكل قوة إلى درجة أنه لم تعد هناك حاجة لذكره على النحو الذي قدمه مناصرو الرؤية التلغرافية، فحسب قوله "**أضم صوتي لأنصار النظرة الأوركسترالية وعلى رأسهم برودوستيل بكلمة واحدة ومن دون إطالة، اعتبر هؤلاء دائما أننا نشارك في التواصل عوض أن ننتجه وأننا أعضاء في مجموعة في مجتمع، لأنه يمكن التنبؤ بسلوكنا وأننا ننجز ثقافة باستمرار عبر افعالنا وحركاتنا**"

- من هنا يمكن فهم الترابط الذي يحكم العلاقة بين النظام الاجتماعي والنظام التفاعلي والاتصال عند غوفمان، فدراسة النظام الاجتماعي ما هو سوى دراسة لنظام تفاعلي ينطلق من وحداته الصغرى **التي تتلخص في اتصال بين شخصين وجها لوجه**، وهي الفكرة التي ارتكزت عليها اسهامات بالو ألتو وتبناها غوفمان وهي "**حتمية الاتصال**"، وهي التي تشكل الخلفية المعرفية التي تنطق منها دراسات جوفمان، والقاعدة التي تؤسس لبقية القواعد، التي حاول من خلالها أن يشرح ويفسر نظام تفاعل ما في مجتمع ما، والذي يراه غوفمان أي نظام التفاعل ينبغي أن يعامل كمجال جوهري وأساسي وكمجال مستقل؛

ويضع غوفمان بعض الوحدات الأساسية لنظام التفاعل يرتبها من الأصغر إلى الأكبر:

- الأفراد والأشخاص الفاعلين.
- أسلوب الاتصال؛ إما من خلال الحضور الفيزيقي المشترك، أو من خلال المحادثات الهاتفية، أو من خلال تبادل الرسائل.
- المواجهات أو الترتيبات التي ينضم فيها الأشخاص إلى دائرة فيزيقية صغيرة كمشاركين واعين في مشروع مشترك قائم على الاعتمادية المتبادلة.
- منصة الأداء وتشمل المكان الذي يهيأ فيه النشاط قبل الجمهور.
- المناسبات الاجتماعية الاحتفالية: وهي جموع من الأفراد في مناسبة ذات شرف وتحظى بتقدير مشترك حيث يصل المشاركون ويغادرون بطريقة منسقة، وهذه الوحدة الأخيرة تمثل الوحدة التفاعلية الأكبر التي يذكرها غوفمان حيث أن هذه الوحدة يمكن أن تتم هندستها لتمتد إلى عدد من الأقسام.

يقترح **غوفمان** تحليه الدرامي حين لاحظ وجود صلة بين ما يمارسه الأفراد في حياتهم اليومية وبين العروض المسرحية، حيث يعتقد أنه عند تواصل الفرد مع الأخرين يحاول توجيه **الانطباعات** التي تتخذ إزاء عرضه عن طريق تغيير وتعديل سلوكاته، ومظهره وطرقه في التفاعل كما في الأداء المسرحي، كما يحاو الأفراد الحصول على معلومات تتعلق بمن يتفاعلون معهم فيؤكد أن "**المعلومات المتعلقة بالفرد تساعد في تحديد الموقف الآخرين وتمكين الآخرين من معرفة ما يتوقعه منهم وما قد يتوقعونه منه**"، ركز غوفمان جهوده الأمبيريقية على ملاحظة سلوكيات الأفراد وهم منهمكون في حياتهم اليومية،

ويمكن استعراض أهم الديناميات أو العمليات التي تحكم السّلوك الإنسانيّ التّفاعليّ حسب غوفمان على النّحو الآتي:

- **من أجل وجود تفاعل اجتماعي:** فإنّ أحد العناصر الرئيسة هو وجود شخص يقوم بها. هؤلاء الأشخاص، الذين يتفاعلون، هم الفاعلون المزعومون.

- **التفاعل**، تكون مختلف الجهات الفاعلة في حالة من التباين، وهذا يعني التّفاعل المتبادل، إذ يمثل هؤلاء الأشخاص أدواراً ملموسة ويتبادلون الانطباعات التي سيتم استخدامها لفهم الأداء والتصرف وفقاً له. وكل الموضوعات هي بواعث وأجهزة استقبال وفي الوقت نفسه: كلاهما ممثل وجمهور.

- **الوسيلة الاتصالية:** يتطلّب التّفاعل الاجتماعي وجود وسيلة اتّصال فعالة وفعالية في تبادل الرسائل والمعلومات بين الأفراد والمجموعات. ويمكن أن يكون الاتّصال عيانياً مباشراً أو عبر الرّسائل وأدوات الاتّصال المختلفة الشفوية والمكتوبة والمسموعة.

- **المؤثّر والاستجابة:** يؤثّر تلقي الأفراد للرسائل والمعلومات التي تمّ تبادلها في تفاعل اجتماعي، فكلّ فعل يؤدي إلى ردة فعل واستجابة من قبل الطّرف الآخر في عملية التّفاعل. ويؤدّي تواتر الأفعال وردودها الجوابيّة إلى تشكيل الموقف التّفاعلي.

- **الثقة والاهتمام:** تشكّل عناصر الثّقة والاهتمام عملية أساسيّة في تحقيق التّفاعل بين الأفراد والمجموعات وتمكّنهم من التّواصل الفعّال وتبادل الرّسائل والمعلومات. ويؤدّي الاهتمام دوراً حيوياً في إضفاء الطّابع الحيويّ على عملية التّفاعل والتّواصل بين الأفراد. ويعمل على تنمية قدرتهم على التّواصل وتبادل الرّسائل والمعلومات.

- **التكيف**: تناول غوفمان ديناميات التكيّف والتسوية (Adjustment) في كتابه المصحّات(Asylums) ، ويعني بالتّسوية التأقلم أو التكيف (**Adaptation**) **"وهي العمليّة التي تساعد الفرد على التكيف الواقعي في معترك التّفاعل الاجتماعيّ، ويعني بها العمليّة التي يحقّق فيها الفرد تكيّفاً تفاعلياً مع معايير الجماعة وقيمها.**

- **أداء الدور:** يعتبر من أهم المفاهيم التي ركّز عليها **غوفمان** في نظريته التّفاعلية، حيث يرى أن الدور يقع في صميم طقوس التّفاعل تتشكّل من مجموعة من المعايير التي تحدد واجباتنا على أنّها الأفعال التي يقرّر الآخرون مشروعيّة أدائنا لها، وكلّ دور يرتبط بدور آخر على الأقل، وما يُعدّ حقوقاً لدور يعدّ واجباً لدور آخر.

- **الإغفال المهذب:** وهو لا يعني تجاهل الآخرين كليّاً، ولكنه يعني الامتناع عن اقتحام حياتهم وأنماط سلوكهم المعتاد في وضع معيّن.

- **الأداء :(Performance)** وهو مفهوم مركزيّ في **النسق الدراماتورجي**، ويرمز إلى جميع النشاطات والفعاليات التي يقوم بها الفرد أمام مجموعة معينة من الأفراد الآخرين الذين يمثلون دور المشاهدين والمراقبين. والأداء فعالية مسرحية تمكن الفرد الفاعل اجتماعياً من التعبير عن هويته الاجتماعية في داخل الجماعة، وهو في أدائه يسعى إلى صقل هويته، وإبرازها بوضوح أمام الآخرين المتفاعلين، ومن خلال هذا الأداء يعطي الأفراد الممثلون معنى لأنفسهم ودلالة يراد بها إقناع الآخرين (المشاهدين)،

إذ لا يوجد دور منعزل، فالدور يتشكل من مجموعة مترابطة من الأنشطة المتشابكة مع الأنشطة الأخرى للناس، فلا يوجد زوجات من دون أزواج، ولا مريض بدون طبيب، ولا أستاذ دون تلميذ، وعليه فإنّ ارتباط الأفراد معاً في جماعات يتمّ خلال شبكة الأدوار المتبادلة"

- **المؤدي :(Performer)** وهو الفرد الفاعل الذي يقوم بالتّمثيل. وهو الممثل الذي يتوجّب عليه توليد الانطباعات بأدائه الممكن على خشبة المسرح، ويحاول استثارة الجمهور للحصول على الاستحسان والقبول وإصدار الحكم الإيجابي على الأداء المسرحي وخلق الانطباع الجيد.

- **التواصل غير اللفظي:** يؤدّي التواصل غير اللفظي (بالإضافة إلى اللّفظي) أهمية كبيرة في عملية التّفاعل، ويشير غوفمان إلى أنّ كثيراً من الرسائل التي يتم تبادلها بين الأفراد والمجموعات يتمّ تبادلها من خلال **التواصل غير اللفظي**، ومن خلال المواقف والأحداث التي يشارك فيها الأفراد والمجموعات.

وهذه العوامل مجتمعة تشكل الإطار العام لعملية التّفاعل الاجتماعي وتعبر عن ديناميات التّفاعل وصيرورته الأساسية.

المدخل الدرامي

- يتبنى غوفمان منطلقات نظريته الدرامية (**Dramaturgical Theory**) في فهم مختلف تجليات الحياة الاجتماعية وتشكلاتها، فالعالم كما يراه غوفمان مسرح كبير يتفاعل فيه البشر، ويتشكّلون، وفي معترك هذا التفاعل تولد الحياة الاجتماعية وتتجلى في أكثر معانيها عمقاً وأصالةً.

شبه الحياة الاجتماعية وما يدور فيها بمسرح كبير يؤدي فيه كل فرد أدواراً متنوّعة تتناسب مع معطيات المواقف التي يعيشها أو يواجهها، والدّور الذي يؤديه الفرد قد يكون مغايراً لطبيعته الحقيقية شأنه شأن الممثل الذي يجسّد شخصية الآخر ويتمثلها، وغالباً ما تكون الشخصية التي يقدمها مغايرة للشخصية الحقيقة التي يكون عليها الممثل، وهذا يعني أنّ الأفراد في سلوكهم اليومي غالباً ما يتغافلون عن شخصياتهم الحقيقية، ويُظهرون ما يخالفها على صورة ما يتطلبه الموقف الحياتي بما ينطوي عليه من غايات ومطالب، ويحاول الأفراد عند قيامهم بأدوارهم الاجتماعية المطلوبة تقديم الدور بوصفه تجسيداً حقيقاً لشخصياتهم وهذا يعني أن الأمر التّمثيلي يتطلب منهم إخفاء الحدود الفاصلة بين شخوصهم الحقيقية وشخوصهم التّمثيليّة.

- اعتمد غوفمان **المنهجية الدراماتورجية (علم دراسة المسرح)** في تحليل التّفاعل الاجتماعي والتواصل الإنساني في الحياة اليوميّة، وعلى هذا الأساس ينظر إلى الحياة بوصفها مسرحاً كبيراً وإلى سلوك أيّ فرد بوصفه يؤدي دوراً (Performance)على خشبة هذا المسرح.
- ويرى أنّ سلوك الفرد (أيّ فرد في أيّ موقف تفاعلي) هو صيغة أداء مسرحيّ يعرض فيه ذاته أمام الآخرين، أي في حضرة الآخر.
- ويأخذ هذا السلوك الفردي (الأداء) صورة "**دور مسرحي محدّد**" يؤدّيه وفق مطالب مكانته الاجتماعية ووظيفته، وظروف حياته وثقافته ومعيشته والأداء يشير إلى كلّ ما يصدر عن الفرد من نشاط أثناءَ فترة حضوره المستمرّ أمام مجموعة محدّدة من المراقبين، ويكون لهذا النّشاط شيء من التأثير في المراقبين كما في المشاهدين.
- ويسعى الفرد أثناء تأديته الدّورَ أن يقدم انطباعاً محدداً عن ذاته للآخرين يتناسب مع الدّور ومع الأهداف التي يضعها نصب عينيه

- ويستخدم غوفمان مختلف مفردات الدراما المسرحية لوصف **الفعالية السلوكية** التي يؤديها الفرد مثل مفهوم الواجهة Frontالذي يتضمّن عناصر مسرحية نمطية "مثل المشهد المسرحي الذي يشمل الأثاث والدّيكور والتّخطيط المادّي وأجزاء في الخلفية تقدم ركائز المشهد والمسرح من أجل تدفق الفعل البشريّ الذي يُؤدَّى أمام هذا المنظر المسرحيّ أو داخله أو عليه، أو تضمّ ما يُشكّل الواجهة الشخصية، مثل المظهر والسلوك. ويقوم بالأداء فريق من الأفراد المؤدين

- يرى غوفمان في هذا السياق أن أفراد المجتمع أشبه بفريق تمثيلي يؤدي أداوره على المسرح، فالناس في حياتهم اليومية، في تفاعلهم يماثلون فريقا من الممثلين الذين يتعاونون على المسرح لإنجاز أدوارهم وتقديم أنفسهم وتحقيق أهدافهم.
- يقدم غوفمان أمثلة عديدة للتّفاعل الدرامي الاجتماعي اليومي، ويضرب مثلاً على ذلك بما يجري في **المستشفى الذي يشكل مسرحاً يتفاعل على خشبته فريق من الأطبّاء والممرضين والمساعدين الذين يتعاونون جميعاً من أجل تقديم العلاج المناسب للمرضى وحمايتهم من الأمراض**

- يجعل غوفمان من عبارة شكسبير المجازية "العالم كله مسرح، والرجال والنساء مجرد لاعبين" حقيقة ونظرية تفسر كثيرًا من سلوكيات الحياة اليومية التي تمارس بطرق عفوية وهي سلوكيات نمطية مطلوبة لإنجاح الأدوار المسرحية.